محاضر ة 4 0

هوية المغرب العربي في تصور الحركات الوطنية

1939 .1919

إن مشروع كفاح المغرب العربي الموحد الذي ظهر أول مرة في بداية القرن العشرين كان يشمل تونس والجزائر والمغرب جغرافيا، وقد رفعه المناضل التونسي علي باش حمبه([1])، ودافع عنه الشبان التونسيون الذين اتصلوا بالمناضلين الجزائريين والمغربيين من أجل توحيد جبهة الكفاح في مواجهة السلطات الفرنسية، وقد تضافرت جهودهم منذ الحرب وخلالها في تأكيد حضورهم السياسي والإعلامي في اسطمبول والعواصم الأوروبية حيث ربطوا توجههم بأفكار الجامعة الإسلامية والدولة العثمانية وطالبوا باستقلال أقطارهم ووحدتها([2]).

وقد ساهمت ظروف نهاية الحرب العالمية الأولى وثورة الريف المغربي في تأجج طموحات النخبة السياسية، خاصة وأن دعوة الأمير عبد الكريم الخطابي طالت تحرير كامل المغرب العربي ولقيت تجاوبا شعبيا معها في الجزائر وتونس

بشكل رسخ الاتجاه الوحدوي منذ هذا التاريخ وا إلى قيام حركات التحرر المغاربية في منتصف الخمسينات من القرن العشرين، إذ تدعم النضال في المهجر بتأسيس كيانات نضالية مشتركة كان من أهمها نجم شمال إفريقيا عام 1926، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا عام 1927، وبعد الحرب العالمية الثانية انتقل النضال المغاربي إلى المشرق العربي وأسس في القاهرة مكتب المغرب العربي عام 1947 ([3]).

---

[1] علي باش حمبه (1918.1879)، مناضل تونسي دافع عن الحقوق الوطنية للتونسيين، وقاد حركة الشبان، نفته فرنسا إلى الأستانة، فواصل نضاله لتحرير ووحدة المغرب العربي .

[2] انظر علال الفاسي:**الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ط6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص11.

[3] انظر محمد بلقاسم: **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، 1910.1954**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994،ج2، ص_ص، 346 وما بعدها.

وخلال هذه المرحلة طرح النقاش حول هوية المغرب وارتباطه بالمشرق فتم التأكيد على اقتران المغرب بلفظ عربي لأسباب موضوعية وظرفية زادت في لبس المصطلح كثيرا، فقد كان تأسيس جامعة الدول العربية ونمو الوعي القومي وانتقال النشاط السياسي المغاربي إلى القاهرة مشجعا على إبراز عروبة أقطار الشمال الإفريقي، خاصة وان ذلك يساعد على كسب الدعم العربي لقضاياها التحررية، كما أن القوى الوطنية المغاربية تعمدت في مواجهة المشروع الفرنسي تأكيد الهوية العربية والانتماء القومي ورفض الانضمام للاتحاد الفرنسي المعروض([4]) .

وقد احتدم النقاش حول هوية المغرب العربي وتمييزه عن المشرق العربي بين توجهين متكاملين في المشروع الوطني ومختلفين في تصور الهوية الشخصية المغاربية، فهناك التوجه المشبع بالثقافة الفرنسية الذي يعتبر الشخصية المغربية متميزة عن المشرق العربي ويدعو للحفاظ على مقوماتها ومنها الأمازيغية، وهناك الاتجاه المشبع بالثقافة العربية_الإسلامية والذي يؤكد حضور الثقافة العربية وانتماءاتها العربية والإسلامية ويعتبر المغرب جزءا من الأمة العربية، تكمل وحدة المشرق العربي([5])، وقد تجلى صراع هذين التوجهين في الأزمة التي عرفتها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في الجزائر بظهور الأزمة البربرية عام 1949، وكان موضوع الهوية حاضرا في الانقسام البورقيبي_اليوسفي حول مشروع الدولة التونسية

والملاحظ عموما أن العروبة تبرز في المشرق العربي كأصل في السياسة والثقافة والحياة اليومية في حين أنها حالة كامنة وغير جلية في المغرب العربي، ولم تكن فكرة العروبة في يوم من الأيام لتكتسي مضمونا سياسيا قوميا مستقلا عن الإسلام حتى أن الأقطار المغاربية تدين منذ استقلالها بالولاء للدولة القطرية، وهذا على عكس الإيديولوجية القومية السائدة في المشرق والتي تعادي النزعة القطرية وتدعو إلى الوحدة ([6])، وعليه فرغم الاشتراك في الهوية القومية الواحدة إلا أن هوية المغرب العربي تتميز عن قرينتها المشرقية

---

[4] انظر شهادة عبد الكريم غلاب، بلقريز عبد الإله وآخرون:**الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية،1948 .1986**، **محاولة في التأريخ**، ط1، م د و ع، بيروت، 1992، ص 251.

[5] انظر صلاح العقاد: **المرجع السابق**، ص197.

[6] انظر محمد صالح الهرماسي: **المرجع السابق** ص . ص، 4137.

بتطابق تام بين العروبة والإسلام، وبغلبة واضحة للإسلام وبخلاف النموذج التونسي في عهد بورقيبة فإن هوية المغرب العربي أكدت صبغتها الوطنية الواضحة وتميزت بتكامل أبعادها الثلاثة الوطنية والإسلام والعروبة([7])

تبنت النخب المغاربية مشروع الاستقلال القطري باعتباره هدفا استراتيجيا أجمعت عليه الأحزاب الوطنية والقيادات والجماهير بمختلف توجهاتها وقد أخذ الاختلاف حول مفهوم الاستقلال القطري منحا عنيفا بين اتجاهين رئيسيين:

ـ اتجاه النخبة العصرية الإصلاحي: نشأت هذه النخبة في ضل الإصلاحات التحديثية التي عرفتها أقطار المغرب العربي، وتنامي علاقاتها السياسية والاقتصادية مع فرنسا وتأثرت بالنمط الأوروبي سياسيا واقتصاديا وحضاريا، وقد ساعد الاستعمار الفرنسي على ظهور نخبة عصرية موالية لتوجهاته وسياسته غير أن كثيرا من عناصرها انقلبت عليه نتيجة تأثرها بمبادئ الحرية والعدالة وتجندها لخدمة المشاعر الوطنية الصادقة واحترافها لأساليب العمل السياسي وتبنيها لفكرة الإصلاح والعمل ضمن إطار المؤسسات الاستعمارية([8])، وقد عبر عن هذا التوجه في تونس الحزب الدستوري الحر الجديد الذي تكون من الدستوريين الشبان بزعامة لحبيب بورقيبة عام 1934 خاصة من خلال ثورته على أفكار الدستوريين "القدامى "واستعداده لقبول فكرة إدماج الفرنسيين والتونسيين في بيئة ديمقراطية واحدة وقبوله للتعاون مع فرنسا للوصول إلى الاستقلال، وأما في الجزائر فقد تجسد هذا الاتجاه أولا في حركة الشبان الذين أسسوا اتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين عام 1927 وآمنوا بفكرة أن المساواة السياسية تتحقق بإدماج الجزائريين التام في الوطن الفرنسي ثم تبلور هذا التوجه في الحركة السياسية التي قادها ابن جلول وفرحات عباس ([9])، وكانت تدعوا باستمرار للإصلاح وتطالب سوى باستقلال ذاتي متعاون مع فرنسا، وبوحدة منصهرة مع المستوطنين الأوروبيين، ومثل هذا التوجه في المغرب فريق انسحب من كتلة

---

[7] **المرجع نفسه** ص . ص، 41،40.

[8] **المرجع نفسه** : ص . ص، 121،120.

[9] فرحات عباس (1899،1985) زعيم سياسي يوصف بالاعتدال، طالب بالمساواة والإدماج ثم رافع عن فكرة الاستقلال الذاتي، وفي عام 1956 انخرط في جبهة التحرير الوطني، عين عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ وأصبح رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة، بعد الاستقلال عارض التوجه الاشتراكي للنظام .

العمل المراكشي بزعامة محمد الحسن الوزاني عام 1937، وكان يخفي وراءه خلافات عقائدية مع توجه علال الفاسي([10]) وأنصاره، فهو متشبع بالثقافة الفرنسية ويدعوا إلى تطوير المغرب اجتماعيا وسياسيا في إطار الحضارة الفرنسية ([11])، وعموما فإن هذا الاتجاه لم يكن يرى في الاستقلال سوى مضمونه السياسي القطري، وبدءا بالدعوة للإصلاح انتهى للقبول بالحلول الجزئية وبالاستقلال المنقوص، وكان همه هو الوصول إلى السلطة بأي ثمن

. اتجاه النخب المحافظة الثوري:هذا الاتجاه حافظ على المبدأ العربي والإسلامي في نضاله الوطني وعاد السياسة الاستعمارية وتجند لمواجهتها بطرق ثورية، وكان في تصديه للاتجاه الأول يؤكد على مشروع الاستقلال التام ووحدة أقطار المغرب العربي، وقد مثله في تونس جناح صالح بن يوسف في مواجهة جناح الحبيب بورقيبة، ومثله في الجزائر تيار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وبعض قادة جمعية العلماء المسلمين واجتمع حوله في المغرب ابن عبد الكريم الخطابي وجناح علال الفاسي داخل حزب الاستقلال، وقد حرصت هذه النخب على رفض الاستقلال القطري والوحدة في مواجهة العدو المشترك من أجل حل شمولي في المغرب العربي يحقق استقلاله التام ووحدته، وقد تجلى الصراع بين الاتجاهين السابقين في أسمى صوره في الخلاف اليوسفي البورقيبي حول مشروع استقلال تونس وفي احتدام الصراع داخل الجزائر بين حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وفي معاداة الخطابي لمشروع الاستقلال المغربي جملة وتفصيلا، والتحامه مع الثورة الجزائرية.

[10] علال الفاسي (19741910) زعيم حزب الاستقلال، أقام في القاهرة منذ عام 1946 وأسهم في العمل المغاربي المشترك، تحالف مع الوفد الخارجي للثورة من أجل توحيد الكفاح المغربي . الجزائري لكنه تخلى عن هذا المشروع بعد استقلال المغرب وأصبح يطالب بتحرير الصحراء ومغربة موريطانيا .

[11] انظر صلاح العقاد :**المرجع السابق**، ص . ص، 3130.